نفح الطيب

في آداب وأحكام الطبيب

جمع وإعداد

أبي حذيفة إبراهيم بن محمد

دار الصحابة للتراث بطنطا

كتاب قد حوى دررا بعين الحسن ملحوظة
لهذا قلت تنبيها

الطبعة الأولى
١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

دار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر - والتحقيق - والتوزيع
شارع المديرية - أمام محطة بنزين التعاون
ت: ٣٣١٥٨٧ ص.ب ٤٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله – ﷺ –.

﴿يأيُّها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾(١).

﴿يأيُّها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾(٣).

وبعـــد ....

فهذه صفحات نضعها بين يدى الطبيب المسلم لتكون عوناً له لأداء مهنته، على النهج الذى رسمه الإسلام للطبيب المسلم وقد استعنت كثيراً بالأبحاث التى قدمت فى المؤتمر الطبى بدولة الكويت. والله الموفق.

---

(١) سورة النساء: الآية ١.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٧٠، ٧١.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾

مقدمة عن الطبابة :

* مما لا شك فيه أن مهنة الطبابة من أنبل المهن وأشرفها، وكفاها شرفاً وكفى أهلها فخراً، أن الله –تعالى– جعلها إحدى معجزات السيد المسيح –على رسولنا وعليه أفضل الصلاة والسلام– فقال تعالى على لسان المسيح عليه السلام ﴿**وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله**﴾(1).

* ومن قبله كان خليل الله إبراهيم عليه السلام يذكر نعم ربه عليه فكان منها ﴿**وإذا مرضت فهو يشفين**﴾(2). فالله سبحانه هو الذى يتولى وحده شفاء المرضى، وما الأدوية إلا وسيلة وأخذاً بالأسباب.

* وإذا ما عرفنا بأن الله تعالى هو الشافى، فإنه قد نبهنا إلى دواء فعال لكثير من العلل، وخاصة الأمراض النفسية، ذلكم الدواء هو القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**﴾(3). وقال تعالى فى آية أخرى: ﴿**يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين**﴾(4).

---

(1) سورة آل عمران: الآية ٤٩.

(2) سورة الشعراء: الآية ٨٠.

(3) سورة الإسراء: الآية ٨٢.

(4) سورة يونس: الآية ٥٧.

* وعلم الطب كسائر العلوم، فكلها من الله ﴿**الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم**﴾(٥).

* ودراسة علم الطب، فيها كشف عن آيات الله تعالى فى خلقه، وذلك مصداق قوله تعالى: ﴿**وفى أنفسكم أفلا تبصرون**﴾(٦).
وطبيعى لا سبيل إلى معرفة ما فى النفس من آيات الله إلا بدراسة علم الطب، ومن هنا تصير دراسة علم الطب عبادة يؤجر فاعلها إذا كان هدفه توضيح آيات الله فى النفس.

* وإذا كانت دراسة الطب عبادة كما بينا، فإن مزاولته إحداث لرحمة الله بعباده، فهو عبادة وقربى، فوقَ أنه حرفة ومرتزق.

* ورحمة الله كأشعة شمسه، ونسمة هوائه، وشربة مائه، كما أن رزقه يصيب البر والفاجر، والمحسن والمسيء، والقريب والغريب، والصديق والعدو، والمؤمن والكافر..

* وكذلك ينبغى أن تكون مهنة الطب، أن تجرى فى اتجاه واحد، مثل رحمة الله تعالى التى لا تحابى ولا تجافى، ولا تعاقب ولا تقتضى، ولا تتغيا العدل، ولكن الإحسان والرحمة، مهما كانت الظروف والملابسات. وبمعنى آخر يقدم خدماته للبشرية جمعاء.

* ولأن مهنة الطب فريدة فى هذا المقام عن سائر المهن، سامية عن الاعتبارات والأعراف التى درج الناس عليها، فليس لها أن تتعامل باعتبارات العداوة أو الخصومة أو العقوبة، أو أن تنساق وراءها لدوافع شخصية أو سياسية أو حربية، وبذلك يكون لمهنة الطب مكانها.

---

(٥) سورة العلق: الآية ٤،٥.

(٦) سورة الذاريات: الآية ٢٢.

* إن احتراف مهنة الطب فى المجتمع الإسلامى واجب شرعى.. وهو فرض كفاية يغنى فيه البعض عن الكل، فإن لم يوفر المجتمع من يقوم بذلك فإن أفراد المجتمع كلهم آثمون حتى يوفروا من يقوم بهذا العمل.

* وإذا كانت مهنة الطب هدفها المحافظة على حياة الإنسان، فإنه ينبغى على من يحترف هذه المهنة – أن تكون المحافظة على كرامة الإنسان وشعوره وعلى حيائه، وعلى عورته، وعلى أهليته، نصب عينيه فيوليها الاهتمام الكامل والرعاية النفسية والطمأنينة الكاملة، حتى يشعر المريض بأن أسراره تحت يد أمينة، فيزداد ثقة فى معالجه، ويكون استعداده للشفاء أكبر.

* وأخيراً.. نقول للأخوة الأطباء إن ما يباح لهم من استثناءات من بعض القواعد العامة، ملازم لمزيد من المسئولية، والواجب يقدره حق قدره، ويؤدى حق الله فيه، تقوى وإحساناً، كما جاء فى الحديث النبوى «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك**»(٧).

(٧) ***حديث صحيح*** رواه أحمد، والبخارى ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجة انظر صحيح الجامع برقم (٢٧٦٢).

الإســـلام ومهنـــة الطـــب

١ – لما كان الإسلام خاتم الرسالات إلى الناس، فقد جعله الله موائماً للفطرة التي فطر الناس عليها، كما جعل سبحانه الفطرة السليمة لا تبتغي ديناً سواه، وقد جعل الله القرآن الكريم نوراً يهدى به من يشاء إلى سواء السبيل، فقال عز من قائل: ﴿**إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم**﴾(٨) وقال: ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء**﴾(٩).

ومن الأمور التي بينها القرآن وأعلى من شأنها العمل فقال تعالى: ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾(١٠).

– من أجل ذلك فالإسلام يحترم العمل أياً كان نوعه، مادام هذا العمل من أجل الكسب الحلال، فالله سبحانه وتعالى أمر رسله والمؤمنين فقال: ﴿**يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً**﴾(١١).

والرسول الكريم – ﷺ – يلفت أنظارنا إلى ذلك فيقول: «**إن أطيب ما أكلتم من كسبكم**»(١٢).

– والطب فوق ما بينا بالمقدمة يعتبر أيضاً مهنة للرزق الحلال.

---

(٨) سورة الإسراء: الآية ٩.

(٩) سورة النحل: الآية ٨٩.

(١٠) سورة التوبة: الآية ١٠٥.

(١١) سورة المؤمنون: الآية ٥١.

(١٢) ***حديث صحيح*** أخرجه البخاري في التاريخ الكبير، والترمذي، والنسائي وابن ماجة. انظر صحيح الجامع برقم (١٥٦٦).

٢ – والمسلم فى عمله الحلال، سواء كان الهدف منه الدنيا أم الآخرة، فإن له ثواب العبادة.
وها هو النبى – ﷺ – يمنع شاباً من الخروج للجهاد، لكى يعمل لتوفير الرزق لوالديه المسنين وقال له «**ففيهما فجاهد**»(١٣).
– ولكى يكون العمل فى منزلة العبادة لابد أن تتوفر فى ممارسته نية صادقة بأنه موجه إلى رضا الله تعالى، فالرسول – ﷺ – يقول: «**إنك لن تخلف فتعمل عملاً تبتغى به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة**»(١٤).

٣ – لذلك فإن الإسلام يدعو الطبيب المسلم لأن ينطلق فى ممارسة مهنة الطب من قواعد ثلاثة:
أ – دفع الضرر عن المجتمع، بتوفير مقومات الصحة العامة، وذلك انطلاقاً من قاعدة الأخوة الإسلامية ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾(١٥) فعلى كل فرد فى المجتمع أن يجتهد فى مجال تخصصه من مبدأ الأخوة، وحتى نكون كما أراد الرسول الكريم – ﷺ – «**المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً**»(١٦) والطبيب فى مجال تخصصه مطالب بأن يقدم علمه وخبرته لصالح المجتمع المسلم.
ب – أداء واجب الأخوة فى الله نحو أخيه المسلم المريض، ففى الحديث الجامع عن رسول الله – ﷺ – «**المسلم أخو**

(١٣) ***حديث صحيح*** أخرجه البخارى، وأبو داود.
(١٤) **حديث صحيح** أخرجه البخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، وأحمد.
(١٥) سورة الحجرات: الآية ١٠.
(١٦) ***حديث صحيح*** أخرجه البخارى ومسلم، والنسائى. انظر صحيح الجامع برقم (٦٦٥٤).

المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً، ستره الله يوم القيامة»(١٧).

وبذلك يكون هدف الطبيب فى تخفيف آلام المريض أسمى من الرغبة فى الأجر والجزاء الدنيوى وأرفع من إشباع النفس بلذة الشعور بالمهارة فى المهنة.

جـ- الرحمة الإنسانية التى تتسع لكل البشر مسلمين وغير مسلمين، بل تتسع لكل كائن حى كما يقول الرسول -ﷺ- «**إن لكم فى كل ذات كبد أجر**»(١٨).

(١٧) **حديث صحيح** أخرجه أحمد، والبخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى. انظر صحيح الجامع برقم (٦٧٠٧) والصحيحة (٥٠٤).

(١٨) **حديث صحيح** أخرجه البخارى ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه، ومالك، وأحمد.

الطب الإسلامى: أسسه وأخلاقياته ووسائله

على الرغم من أن الطب الإسلامى قد يضم كل وسائل الطب الحديث، بالإضافة لمقومات أخرى عديدة إلا أنه يختلف عن الطب الحديث فى تطبيقه لمعايير كثيرة منها:

١ — أنه طب يرتكز على الإيمان والأخلاقيات السماوية، ويرفض كل ما يتنافى مع العقيدة والأخلاق السامية.

٢ — أنه طب رائد ومتميز عن أشكال وفنون الشفاء الأخرى.

فمثلاً: الطب الحديث لا يرفض ولا يرى ضرراً من إدخال الكحول فى معظم المستحضرات الطبية، مع ما له من آثار ضارة على الصحة العامة للإنسان، ولا يمارى فى ذلك إلا جاهل أو دعى.

وأيضاً لا يرفض علاقات «الشذوذ الجنسى» والتى يرفضها الدين ويحرمها، وقد ضرب الله لنا مثلاً قاسياً فى عقاب الذين يستبيحونه قال تعالى: ﴿**ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون* أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون* فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا ءال لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون* فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين* وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين**﴾(١٩).

ورغم ذلك ظهرت نعرات جاهلية تنادى بالإباحية المطلقة حتى بين الرجال ولم ينههم العلماء من أساطين الطب ويحذروهم

(١٩) سورة النحل: الآيات ٥٤ — ٥٨.

العواقب الوخيمة التى تترتب على انحرافهم هذا، فأرسل الله عليهم رجزاً، يفتك بهم ويدمرهم ألا وهو مرض «الإيدز» الذى لم يعرف له علاج حتى الآن فهل يعتبر هؤلاء الذين انحرفوا عن الصواب وابتعدوا عن الفضيلة؟!

٣ – أنه طب موجه هادف. فهو يستمد أصوله ومبادئه من العقيدة الإسلامية التى تحل الطيبات وتحرم الخبائث، كما أنه يهدف – فيما يهدف – إلى توضيح آيات الله فى النفس الإنسانية امتثالاً للآية الكريمة ﴿**وفى أنفسكم أفلا تبصرون**﴾.

٤ – أنه طب شامل يهتم بالجسد والروح، ويهتم بالفرد والمجتمع.

٥ – أنه طب أقرب ما يكون إلى الطبيعة، فهو يحاول الاستفادة من مصادر الطبيعة السهلة كالأعشاب، وعسل النحل والحبوب وغيرها من مصادر الطبيعة، ولا يلجأ إلى المركبات الكيماوية إلا فى أضيق الحدود، حيث أنها إذا أفادت فى إبراء المرض، فإن لها آثاراً ضارة على الجسم من ناحية أخرى، ويلاحظ ذلك فى التحذيرات المرفقة مع كل مركب كيمائى بهدف العلاج به.

نظرة الإسلام للوقاية والعلاج

١ - لقد دعا الإسلام إلى تطبيق أسس الرعاية الصحية الثلاثة وهى: الوقاية - العلاج - التأهيل.

٢ - وحيث أن **الطب الوقائى** يهدف إلى تدعيم الصحة الإيجابية، لذلك أولاه الإسلام أهمية خاصة، لأن المجتمع المسلم الصحيح أقدر على حمل الأمانة وأداء رسالة الله فى الأرض، ومن هنا نجد أحاديث الرسول -ﷺ- فى الصحة الوقائية تتميز بالتفصيل، وتتخذ أسلوباً أقرب إلى الإلزام.

أما **الطب العلاجى** فقد تناولته بالمنهج العادى فى التشريع وهو وضع القواعد الأساسية التى تتضمن السير فى الطريق الصحيح دون الدخول فى التفاصيل.

٣ - **ففى مجال البيئة** نجد الإسلام قد وضع نموذجاً رائعاً لارتباط كل فرد مسلم بأمة الإسلام، ويتمثل ذلك فى مسئولية كل فرد عن سلامة المجتمع والتزام كل مؤمن بسلامة أخيه تماماً كالتزامه لنفسه، فالقرآن الكريم وضع القواعد الأساسية ﴿**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**﴾[٢٠].

ورسول الله -ﷺ- يقول: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[٢١] وقوله أيضاً: «**مثل المؤمنين فى توادهم**

---

(٢٠) سورة الحجرات: الآية ١٠.

(٢١) «**حديث صحيح**» أخرجه أحمد، والبخارى ومسلم، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، وهو فى صحيح الجامع برقم (٧٥٨٣)، وفى السلسلة الصحيحة برقم (٧٣).

وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(٢٢).

وانطلاقاً من ذلك فإن المحافظة على الصحة الشخصية لا تكفى بل لابد من الحرص على صحة البيئة فإذا ما أدركتم أن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، **فنظفوا أفناءكم** وساحاتكم، حتى لا تنتقل الجراثيم إلى الإنسان وتنتشر الأمراض قال النبى - ﷺ -: «**لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم**»(٢٣).

٤ - وفى الوقاية من الأمراض المعدية، وضع الرسول - ﷺ - قيوداً على حركة المريض فقال: « **لا يوردن ممرض على مصح** »(٢٤) بل إن المسلم مطالب بالالتزام بقواعد الحجر الصحى فى حالة الوباء، ولو أدى ذلك إلى التضحية بنفسه. فالرسول - ﷺ - يقول: «**إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها**»(٢٥).

٥ - وفى **مجال الصحة الشخصية**؛ فإن طهارة البدن شرط لدخول المرء فى دين الله «الإسلام» والنظافة شرط لأداء أهم أركانه وهى الصلاة، ونظراً لأهمية صحة الإنسان وانعكاساتها على أجهزة الجسم المختلفة جعل العناية بها تكاد تكون ملزمة فها هو القرآن

---

(٢٢) ***حديث صحيح*** أخرجه أحمد، والبخارى، ومسلم. انظر صحيح الجامع برقم (٥٨٤٩).

(٢٣) ***حديث صحيح*** أخرجه البخارى ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وأحمد. انظر صحيح الجامع برقم (٧٥٩٣)، (٧٥٩٤).

(٢٤) ***حديث صحيح*** أخرجه البخارى ومسلم، وابن ماجة، وأحمد، والبيهقى.

(٢٥) ***حديث صحيح*** أخرجه البخارى، ومالك فى الموطأ.

يقول: ﴿**إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**﴾(٢٦) ويحثنا الرسول -ﷺ- على النظافة فيقول: «**الطهور شطر الإيمان ...**»(٢٧) ويقول أيضاً: «**السواك مطهرة للفم مرضاة للرب**»(٢٨) ولما كان للسواك هذه الفائدة فإنه -ﷺ- كاد أن يلزم كل مسلم به فيقول: «**لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك قبل كل صلاة**»(٢٩).

وكثير من أحاديث الرسول -ﷺ- تناولت صحة الغذاء والأوانى والطعام.

٦ - **وفى مجال السلامة والوقاية من الحوادث**: وضع الإسلام القاعدة الأساسية لهذا العلم الذى لم يتبلور إلا فى نهاية هذا القرن، فمن المعروف أن لكل حادثة سبب، ولتجنب الحوادث يجب على المسلم إزالة أسبابها، وقاية لنفسه ولغيره من أفراد المجتمع المسلم.
ففى القرآن الكريم: ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾(٣٠) وقوله تعالى: ﴿**ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً**﴾(٣١).
ومن أحاديث الرسول -ﷺ-، نجده يجعل رفع ما يؤذى

---

(٢٦) سورة البقرة: الآية ٢٢٢.

(٢٧) ***حديث صحيح*** أخرجه مسلم، والترمذى، وأحمد. انظر صحيح الجامع برقم (٣٩٥٧).

(٢٨) ***حديث صحيح*** أخرجه البخارى فى التاريخ الكبير، وأحمد، والشافعى، وابن خزيمة والنسائى، وابن حبان، والحاكم، والبيهقى فى السنن الكبرى، والطبرانى فى الأوسط، والدارمى. انظر صحيح الجامع برقم (٣٦٩٥).

(٢٩) انظر رسالتنا «السواك بين الدين والعلم الحديث» و «السواك وما أشبه ذاك» من منشورات دار الصحابة للتراث.

(٣٠) سورة البقرة: الآية ١٩٥.

(٣١) سورة النساء: الآية ٢٩.

المسلمين عن الطريق شعبة من الإيمان فيقول: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»(٣٢).

وفى حديث آخر يقول -ﷺ-: «**إرشادك الرجل فى أرض الضلال لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة**»(٣٣) وأيضاً «**لا تتركوا النار فى بيوتكم حين تنامون**»(٣٤).

٧ - **وفى الطب العلاجى** أمر الإسلام بالتداوى أمراً صريحاً وحازماً، فالمسلم ليس قدرياً يهمل العلاج ويترك نفسه، بل لابد من العلاج الذى جعله الله سبباً للشفاء، وعندما سئل رسول الله -ﷺ- عن دواء يتداوى به، هل يرد من قدر الله شيئاً؟ فقال -ﷺ-: «**هى من قدر الله**» وحديثه -ﷺ- «**ياعباد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داءً إلا وضع له دواءً، غير داء واحد، الهرم**»(٣٥).

---

(٣٢) ***حديث صحيح*** أخرجه مسلم، وأبو داود، والنسائى، وابن ماجه. انظر صحيح الجامع برقم (٢٨٠٠).

(٣٣) ***حديث صحيح*** أخرجه البخارى فى الأدب المفرد عن أبى ذر وأخرجه الترمذى، وابن حبان فى صحيحه، وهو فى صحيح سنن الترمذى للألبانى برقم (١٥٩٤)، وانظر صحيح الجامع برقم (٢٩٠٨).

(٣٤) ***حديث صحيح*** أخرجه أحمد، والبخارى ومسلم، وأبو داود، والترمذى، وابن ماجه. انظر صحيح الجامع برقم (٧٢٢٠).

(٣٥) ***حديث صحيح*** أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم. انظر صحيح الجامع برقم (٢٩٣٠)، (٧٩٣٤)، وغاية المرام (٢٩٢).

هذه التعليمات الواضحة غيرت مفاهيم البشرية نحو المرض والعلاج، ووضعت حداً للخرافات الشائعة عن أسباب الأمراض ووسائل علاجها، ووضعت الناس على الطريق الصحيح ليبحثوا فى الداء والدواء ليعلم من لم يكن يعلم.

نظـرة الإسلام للمرض(٣٦)

* إن الدين الإسلامى – كما قلنا من قبل وكما هو معروف– هو دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها، ومن ثم فإنه يعترف بالمرض كحالة غير طبيعية تصيب البدن كله، أو تصيب أعضاء معينة منه، ولذلك نجده فى مواضع كثيرة حث على التداوى، وكما أشرنا إلى ذلك فى الفصل السابق عندما تحدثنا عن «الطب العلاجى» وعرفنا أنه يأمرنا بالتماس أسباب التداوى العلمية والعملية، ولا عجب بعد ذلك إذا عرفنا أنه لا يعتبر أن المرض ناتج عن الشياطين، والنجوم، والأرواح الشريرة، ولذلك فقد منع كل الممارسات المبنية على هذه المعتقدات الخاطئة، مثل التطير، والتمائم والعرافة وغيرها.

يقول الرسول الكريم –ﷺ– فى أحاديث كثيرة ناهياً المسلمين عن المضى فى هذا الأسلوب غير العلمى فى العلاج فيقول «**من علق تميمة فقد أشرك**(٣٧)» و «**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**(٣٨)» و «**لا عدوى ولا طيرة ويعجبنى الفأل**

---

(٣٦) انظر رسالتنا الخاصة بآداب وأحكام وفضل عيادة المريض. من منشورات دار الصحابة للتراث.

(٣٧) انظر رسالتنا عن الرقى: أنواعها – بدعها – أحكامها. من منشورات دار الصحابة للتراث.

(٣٨) **«حديث صحيح»** أخرجه أحمد، والحاكم. انظر صحيح الجامع برقم (٥٩٣٩).

الصالح والفأل الصالح: الكلمة الحسنة[٣٩]» و «إن الرقى والتمائم والتولة شرك»[٤٠]. وغير ذلك كثير.

* والمسلم مطالب بحفظ صحته، والمجتمع مطالب بوقاية نفسه من الأمراض، بل توفير الصحة الإيجابية بمفهومها الحديث، قال تعالى: ﴿**إن خير من استأجرت القوى الأمين**﴾[٤١] فالقوة والأمانة هما مناط الخيرية فى الإنسان، وإلى ذلك أشار الرسول -ﷺ- فى حديثه «**المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كلٍ خير**»[٤٢] والقوة هنا ليس المقصود بها القوة البدنية فحسب وإنما أيضاً القوة الإيمانية والقوة البدنية ينشأ عنها صحة الجسم وخلوة من الأمراض، والقوة الإيمانية تعنى قوة العقيدة وهذه ينشأ عنها نفس مطمئنة خالية من الأمراض النفسية المدمرة، والهواجس الشيطانية، والوساوس والأوهام.

* ومن هنا ندرك لماذا جعلت القوة مناط الخيرية والأفضلية، إذ أن المؤمن القوى الصحيح أقدر على أداء الرسالة التى خلق الله الإنسان من أجلها قال تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾[٤٣] ولكى يؤدى الأمانة التى قبل أن يحملها.

---

(٣٩) ***حديث صحيح*** أخرجه أحمد، والبخارى ومسلم، وأبو داود، والترمذى، وابن ماجه. انظر صحيح الجامع برقم (٧٥٣٢).

(٤٠) ***حديث صحيح*** أخرجه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والحاكم. انظر صحيح الجامع برقم (١٦٣٢).

(٤١) سورة القصص: الآية ٢٦.

(٤٢) ***حديث حسن*** أخرجه أحمد، ومسلم، وابن ماجه، قاله الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٦٦٥٠).

(٤٣) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

* إن الإسلام لا يقبل أن تكون أمة المسلمين غثاء كغثاء السيل، تعيش على هامش الحياة، فى عجز جسمانى وانحطاط فكرى، وتأخر علمى، وانتكاس روحى، فإذا ما حدث ذلك المحذور، فعندئذ يكون بطن الأرض خيراً لها من ظاهرها.

* قلنا من قبل أن الإسلام يعترف بالمرض كحالة غير طبيعية، ولذلك فقد عمد إلى طريقة فريدة فى مقاومة المرض، هذه الطريقة تتلخص فى نظرية (الابتلاء) وهى تجعل المسلم أقدر على تقبل هذا الواقع المؤلم بصبر لا نهاية له، وهذا الصبر ينبعث من إيمانه بالله، وباعتقاده بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وبثقته فى أن الله تعالى إنما ابتلاه بالمرض لكى يطهره من الذنوب والمعاصى ويكفر عنه سيئاته، حتى إذا برىء من مرضه كانت نفسه –أيضاً– قد تخففت من أثقالها وطهرت من أوزارها وفى ذلك يقول الرسول –ﷺ–: **«ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها خطاياه»**(٤٤).

* وهناك جانب آخر يتميز به الإسلام ويتفرد، ذلك موقفه من المريض وإن بدا لأول وهلة أمراً يتعلق بالسلوك، إلا أنه فى نهاية الأمر نوع من العلاج النفسى، ويحق لنا أن نصنفه فى جانب العلم بأكثر مما يصنف فى جانب الآداب والأخلاقيات. فللمريض حق على الصحيح، وهذا الحق هو «حق العيادة»، كما أن له حقاً على الطبيب وهو «حق الطبابة».

* وهذه الحقوق تستمد من التأكيد الشديد الذى ركزت عليه أحاديث الرسول –ﷺ– فى عيادة المريض، إلى ما يشبه الوجوب، وأنها من

(٤٤) ***حديث صحيح*** أخرجه أحمد، والبخارى، ومسلم. انظر صحيح الجامع برقم (٥٨١٨).

حق المسلم على المسلم، فإنها ليست مجرد تخفيف عنه، وصلة له، ولكنها قربى إلى الله يقول الرسول -ﷺ- فيما يرويه عن ربه «**إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى قال: يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال أما علمت أن عبدى فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لوعدته لوجدتنى عنده؟**»(٤٥) وهكذا فالمريض قريب من الله، ويقول رسول الله -ﷺ- «**أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكوا العانى**»(٤٦).

* أرأيت أخى المسلم كيف أن الإسلام بهذه النظرة الواقعية إلى المرض والمريض، جعل المريض قادراً على التماسك والتحمل ولا يكون المرض البدنى سبباً لتوليد المرض النفسى أو الاضطرابات العضوية والنفسية، ومن المعروف فى الطب الحديث أن صلابة النفس أو ما يسمى بالروح المعنوية للمريض، عندما تكون مرتفعة فإنها تساعد كثيراً على شفاء المرض الأصلى الذى يعانى منه المريض.

* ومن هنا ندرك ما لهذه النظرة الواقعية من فوائد عظيمة منها أن الأزمات الصحية مهما اشتدت لا تقود المسلم إلى التفكير فى التخلص من حياته بالانتحار، كما هو شائع فى الدول الأوربية والأمريكية حيث أن الوازع الدينى ضعيف أو غير موجود بالمرة، فيسارع الناس هناك إلى التخلص من حياتهم لأتفه الأسباب. ولكن الإسلام -ولأنه دين الفطرة- ينهى المسلم عن مجرد التمنى للموت ويوجه المسلم الوجهة الصحيحة، فى ذلك، فعن أنس بن مالك قال قال رسول الله

---

(٤٥) ***حديث صحيح*** رواه مسلم. انظر صحيح الجامع برقم (١٩١٦).

(٤٦) ***حديث صحيح*** أخرجه أحمد، والبخارى، وأبو داود، والبيهقى فى الكبرى، والبغوى فى «شرح السنة».

- ﷺ -: «**لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه، فإن كان لابد فاعلاً فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لى، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى**»(٤٧).

* وأخيراً وقبل أن نختم هذا الفصل، فإننا نشير إلى طرف من عظمة هذا الدين فى نظرته للمريض، فقد منح المريض رخصة تعفيه من الالتزامات الشرعية والواجبات الدينية حسب ما تمليه الضرورة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار**﴾(٤٨).

فقد رفع الله الحرج والإثم عن المريض وأعطاه رخصاً وتخفيفاً، نذكر منها:

١ - رخصة فى الوضوء.

٢ - رخصة فى الصلاة.

٣ - رخصة فى الصوم.

٤ - رخصة فى الجهاد.

٥ - رخصة فى الحج.

٦ - رخصة فى الملابس لمن يعانون مرضاً جلدياً.

٧ - رخصة فى تناول بعض العقاقير المخدرة حسب الضرورة.

---

(٤٧) ***حديث صحيح*** رواه أحمد، والبخارى ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى وابن ماجه. قاله الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٧٦١١).

(٤٨) سورة الفتح: الآية ١٧.

الباب الثاني

الإسلام وآداب ممارسة مهنة الطب

١ – صفة الطبيب المسلم .

٢ – مسئولية الطبيب المسلم .

٣ – موقف الطبيب المسلم من البحث العلمى ومعطياته الحديثة .

٤ – الطبيب والمجتمع .

أولاً: الإسلام وآداب ممارسة مهنة الطب:

١ - لا يجوز فصل آداب المهنة عن الأخلاقيات العامة التى يجب أن يتصف بها كل مسلم فى سلوكه فالإسلام يهدف إلى تكوين الذات الإسلامية المتميزة عن كل ما سواها، منذ الطفولة المبكرة، بحيث يمتزج الخلق الإسلامى مع تكوين الفرد وطباعه وسلوكه.

ومن هنا يتضح لنا الأهمية الكبيرة لدور الأسرة والمدرسة والدولة، فى توفير البيئة الصالحة والمتسقة مع تعاليم الإسلام، ينتشر فيها عمل الخيرات، وتمتنع فيها المنكرات، ويكون المثل الأعلى فيها قول الحق سبحانه ﴿**خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**﴾(٤٩) وتكون أخلاق الرسول - ﷺ -، والتى زكاها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾(٥٠) هى النبراس والقدوة لكل مسلم، وبذلك ينشأ الجيل المنسجم مع فطرته النقية، بسهولة ويسر وبلا تناقضات أو عقبات، ويجد طريق الخير أمامه سهلاً وميسراً، ونكون بذلك حققنا قول الله تعالى: ﴿**والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان، ألحقنا بهم ذريتهم، وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين**﴾(٥١).

٢ - والطبيب المسلم الذى يحمل أمانة الإسلام أولاً، وأمانة المحافظة على صحة المسلمين ورفع الضرر عنهم ثانياً، لهو أولى الناس بأن تكون تربيته إسلامية وسلوكه محمدياً، ولا سبيل إلى تحقيق هذا الهدف

---

(٤٩) سورة الأعراف: الآية ١٩٩.
(٥٠) سورة القلم: الآية ٤.
(٥١) سوّرة الطور: الآية ٢١.

إلا بجعل القرآن العظيم حياً فى النفوس والضمائر، اقتداء بالأسوة الحسنة، فقد سئلت السيدة عائشة –رضى الله عنها– عن أخلاق الرسول –ﷺ– فقالت «**كان خلقه القرآن**»(٥٢) وبذلك يكون الالتزام بخلق الإسلام جزءاً من طبع الطبيب يمارسه بلا تكلف فى سره وعلانيته.

والطبيب المسلم الذى يشعر أن تعامله مع الله، وأن عليه رقابة دائمة مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى ﴿**عن اليمين وعن الشمال قعيد**﴾(٥٣) فلابد أن يتقى الله فى التعامل مع خلق الله إذا تذكر قول رسول الله –ﷺ–: «**عذبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت جوعاً**»(٥٤) فإن نظرته إلى الكائنات الحية كلها ستكون نظرة رحمة وشفقة ملؤها الحب والعطف، وطبيعى أن يكون للإنسان الحظ الأوفر والنصيب الأكبر من هذه النظرة لأنه أفضل مخلوقات الله الذى كرمه ونعمه، ثم زاده تكريماً فجعله خليفة له فى الأرض.

٣ – لقد جرت العادة منذ عهد أبقراط، أن يبدأ الطبيب حياته المهنية بترديد قسم يلتزم بآدابه فى ممارسة الطب، وهذا القسم إن كان له ما يبرره فى الأمم السابقة فهو بعد مجيء الإسلام ليس له ما يبرر بقاءه لأن أسس الإسلام وقواعده جعلت من الضمير رقيباً على تصرفات المسلم وسلوكه، فالطبيب المسلم ليس فى حاجة إلى قسم

(٥٢) ***حديث صحيح*** رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائى، وأبو عوانة انظر صحيح الجامع برقم (٤٨١١)، وصحيح أبى داود (١٢١٣).

(٥٣) سورة ق: الآية ١٧.

(٥٤) ***حديث صحيح*** رواه أحمد، والبخارى، ومسلم، والدارقطنى. انظر صحيح الجامع برقم (٣٩٩٥).

يستشعر قيده من حين لآخر، إن شاء أنفذه وإن شاء عطله، ولكنه فى حاجة ماسة وملحة إلى تبصيره بأخلاق الإسلام، وإلى تنبيهه بعظم الأمانة التى يحملها، وأن الله سائله عنها ومحاسبه عليها فى يوم يقول الله فيه ﴿**وقفوهم إنهم مسئولون**﴾(٥٥) وعندئذ يجد نتيجة عمله وعلمه ﴿**فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغنى عنه ماله إذا تردى**﴾(٥٦) ولذلك فالطبيب المسلم ليس فى حاجة إلى من يذكره بقسم أو عهد لأنه يدرك قول الحق سبحانه ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**﴾(٥٧).

٤ – إن قضية السلوك المهنى لا تحل بقسم ولا تستوفى بدراسة مقرر علمى فى آداب ممارسة مهنة الطب، ولا تحكمها قواعد قانونية تقررها نقابة طبية، أو دستور وضعى، لأن الرعاية بالمريض تحمل التزامات أخلاقية وأدبية أكبر من أن ينظمها قسم أو قانون. كما وضحنا ذلك فى الفقرة السابقة.

٥ – والطبيب فى ممارسته اليومية سيواجه بكثير من المواقف تستلزم استفتاء قلبه، ومن هنا سوف تتأثر قراراته بمدى التزامه بمنهج الله، وبمدى إحاطته وإلمامه بسنة رسول الله – ﷺ –، وحينئذ ينبعث

---

(٥٥) سورة الصافات: الآية ٢٤.
(٥٦) سورة الليل: الآية ٥–١١.
(٥٧) سورة الزلزلة: الآية ٧،٨.

حكمه مسترشداً بحديث الرسول -ﷺ- «**البر حسن الخلق، والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس**»(٥٨).

٦ - إن مفهوم الواجب فى الإسلام هو «أن تعمل العمل لا يقصد به رضاءُ الناس، بل يقصد به وجه الله وحده» كما قال تعالى: ﴿**قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين**﴾(٥٩).

٧ - وإليك أخى الطبيب بعض القواعد الأساسية التى تندرج تحتها كل الفضائل والأخلاقيات التى أوصى بها القرآن وحث عليها الرسول -ﷺ-:

١ - الصبر: ﴿**إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**﴾(٦٠).

٢ - الإحسان فى العمل: ﴿**وأحسنوا إن الله يحب المحسنين**﴾(٦١).

وقول الرسول -ﷺ-: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»(٦٢).

---

(٥٨) «**حديث صحيح**» أخرجه البخارى فى الأدب المفرد، ومسلم، والترمذى: انظر صحيح الجامع برقم (٢٨٨٠).

(٥٩) سورة الأنعام: الآية ١٦٢.

(٦٠) سورة الزمر: الآية ١٠.

(٦١) سورة البقرة: الآية ١٩٥.

(٦٢) سبق تخريجه.

٣ – السمت الصالح: «**إن الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة**»(٦٣).

٤ – الكلام الطيب: «**الكلمة الطيبة صدقة**»(٦٤).

٥ – الحياء: «**إن لكل دين خلقاً، وخلق الإسلام الحياء**»(٦٥).

٦ – الرحمة: «**ارحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء**»(٦٦).

٧ – الرفق: «**لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً**»(٦٧). «**ما كان الرفق فى شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه**»(٦٨).

٨ – التبسم فى وجه المريض: «**تبسمك فى وجه أخيك صدقة**»(٦٩).

---

(٦٣) ***حديث حسن*** رواه أحمد، وأبو داود، والبخارى فى الأدب المفرد، والطحاوى والطبرانى فى الكبير، وابن عدى. انظر صحيح الجامع (١٩٩٣) والروض النضير (٣٨٤).

(٦٤) ***حديث صحيح*** أخرجه أحمد، والبخارى، ومسلم، وابن خزيمة، والبيهقى. انظر السلسلة الصحيحة (١٠٢٥).

(٦٥) ***حديث حسن*** أخرجه ابن ماجه. انظر صحيح الجامع (٢١٤٩).

(٦٦) ***حديث صحيح*** أخرجه الطبرانى، والحاكم، انظر صحيح الجامع (٨٩٦) وأخرجه الطيالسى، وأبو نعيم، والخطيب البغدادى، انظر الصحيحة (٩٢٥).

(٦٧) ***حديث صحيح*** أخرجه أحمد، وأبو داود، انظر صحيح الجامع (٧٦٥٨).

(٦٨) ***حديث صحيح*** رواه أحمد، ومسلم انظر تخريج المشكاة (٤٨٥٤) وعبد بن حميد، والضياء. انظر صحيح الجامع برقم (٥٦٥٤).

(٦٩) ***حديث صحيح*** أخرجه البخارى فى الأدب المفرد، والترمذى، وابن حبان فى صحيحه وهو فى صحيح الجامع برقم (٢٩٠٨).

٩ - التنفيس عن المريض: فيجب عليك أخى المسلم إذا دخلت على المريض لتعوده أن تنفس عنه وتبشره بالسلامة والمغفرة لأن ذلك يطيب نفس المريض.

١٠- حفظ أسرار المريض: «**من ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة**»(٧٠).

١١- الصدق والأمانة فى المشورة: «**المستشار مؤتمن**»(٧١) و «**الدين النصيحة**»(٧٢).

١٢- عدم الخلوة بالمريضة إلا بمحرم: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم**»(٧٣).

١٣- حسن الخلق مع زملائه ومرضاه: وأن يتعامل معهم على أسس من تعاليم الإسلام فيتجنب الحقد والحسد والغيبة، والتجريح، وغير ذلك. «**لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تنافسوا، وكونوا عباد الله إخواناً**»(٧٤).

---

(٧٠) ***حديث صحيح*** أخرجه أحمد، والبخارى ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى. انظر صحيح الجامع برقم (٦٧٠٧).

(٧١) ***حديث صحيح*** أخرجه الأربعة أبو داود، والترمذى، والنسائى وابن ماجه. صحيح الجامع برقم (٦٧٠٠)، والبخارى فى الأدب المفرد، والطحاوى، والحاكم والبيهقى فى السنن الكبرى. انظر الصحيحة (١٦٤١).

(٧٢) ***حديث صحيح*** أخرجه أحمد، والبخارى فى التاريخ الكبير، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى والبزار. انظر صحيح الجامع برقم (٣٤١٧).

(٧٣) ***حديث صحيح*** أخرجه البخارى، وأحمد.

(٧٤) ***حديث صحيح*** رواه مسلم. انظر صحيح الجامع برقم (٧١٩٩).

١٤- أن لا يبخل بعلمه على زملائه: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**»[٧٥]. «**من كتم علماً عن أهله ألجم يوم القيامة لجاماً من نار**»[٧٦].

١٥- التواضع: ﴿**ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحاً، إن الله لا يحب كل مختال فخور**﴾[٧٧].

١٦- الصحبة الطيبة: «**لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقى**»[٧٨].

١٧- غض البصر: ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم**﴾[٧٩].

ومن هنا فلا يجوز أن يكون الترخيص بالاطلاع على عورات الناس عند الضرورة مبرراً للتخلى عن الحياء الواجب على كل مسلم، وعلى الطبيب ألا يطلع إلا على ما هو ضرورى، وإن شعور المريض بحياء الطبيب فى هذا الموقف، يعطيه ثقة أكثر فى طبيبه؟

وانطلاقاً من القاعدة الشرعية «لا ضرر ولا ضرار» فعلى الطبيب أن يخبر المريض المصاب مرض معدٍ بحقيقة مرضه ولكن بتلطف، ويدعوه إلى الاعتزال وعدم المخالطة حتى لا يحيق الضرر بالمسلمين.

---

(٧٥) ***حديث صحيح*** أخرجه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذى. انظر صحيح الجامع (٦٢٣٩).

(٧٦) ***حديث صحيح*** أخرجه ابن حبان، والحاكم، وابن عدى. انظر صحيح الجامع (٦٥١٧).

(٧٧) سورة لقمان: الآية ١٨.

(٧٨) ***حديث صحيح*** أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذى، وابن حبان، والحاكم. انظر صحيح الجامع برقم (٧٣٤١).

(٧٩) سورة النور: الآية ٣٠.

وثمة فرق بين أن يفقد المريض الأمل فى شفائه، وبين أن يعرف أنه مصدر ضرر للآخرين فيبتعد عنهم، لأنه إذا تعارضت مصلحة المجتمع مع مشاعر الفرد تقدم مصلحة المجتمع على مصلحة الفرد ومشاعره.

فالرسول -ﷺ- عندما علم أن مريضاً بالجذام قادم إليه ليبايعه مع المسلمين أرسل إليه ليرجع قائلاً له: «**ارجع فقد بايعناك**».

صفة الطبيب المسلم

١ - ينبغى أن يكون الطبيب المسلم من بين المؤمنين بالله، القائمين بحقه، العارفين لقدره، العاملين بأوامره، المنتهين عن نواهيه، المراقبين له فى السر والعلن، وبالجملة يكون من ﴿**الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، والحافظون لحدود الله**﴾(٨٠).

٢ - ينبغى أن يكون من أهل الحكمة والموعظة الحسنة، مبشراً لا منفراً، باسماً لا عابساً حليماً لا غضوباً، محباً لا كارهاً، لا تغلبه ضغينة، ولا تفارقه سماحة، يعتبر نفسه من وسائل رحمة الله.

٣ - وينبغى أن يكون رزيناً لا يطيش ولو لحق، عف اللسان ولو فى فكاهة، غضيض الحديث، خفيض الصوت غير منكره، سوى الهندام غير أشعثه ولا أغبره، يوحى بالثقة، ويبعث على الاحترام، مهذباً مع الغنى والفقير، وقوراً مع الكبير والصغير، متواضعاً، ذاكراً نعمة الله عليه شاكراً له ملتمساً توفيقه، وألا يطوله شىء من الزهو أو الكبر أو التفاخر.

٤ - وينبغى أن يعلم أن الحياة من الله لا يعطيها إلا هو ولا يسلبها إلا هو وأن الموت خاتمة حياة دنيا، وبداية حياة أخرى، وأن الموت

---

(٨٠) سورة التوبة: الآية ١١٢.

حق.. وأنه نهاية كل حى إلا الله ﴿**كل شىء هالك إلا وجهه**﴾[٨١] وأن الطبيب فى مهنته من جند الحياة فقط، الذائدين عنها، العاملين على استبقائها صحيحة، سوية صافية من أكدار المرض ما وسعه الجهد.

٥ – وينبغى أن يكون قدوة فى رعاية صحته والقيام بحق بدنه، فلا يأمر الناس بمالا يأتمر به، ولا ينهى عما لا ينتهى عنه، ولا يتنكر لمعطيات علمه الطبى، لأن فاقد الشىء لا يعطيه، قال تعالى: ﴿**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم**﴾[٨٢].

٦ – والطبيب الصادق إن قال أو كتب أو شهد.. حريص ألا تدفعه نوازع القربى أو المودة أو الرغب أو الرهب إلى أن يدلى بشهادة أو تقرير أو بحديث يعلم أنه مغاير للحقيقة، بل يقدر حق الشهادة فى الإسلام، ويعمل بهدى رسول الله – ﷺ – «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**» قال صحابته: بلى يارسول الله، قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين.. ثم صمت ملياً وقال: ألا وقول الزور ألا وقول الزور**»[٨٣] فما زال يكررها حتى حسبوه لا يسكت. رواه البخارى ومسلم.

٧ – وينبغى أن يتوفر له حد أدنى من الدراية بعلوم الفقه وأحكام العبادات لأن الناس سوف يستفتونه فى أمورهم الصحية ذات الصلة بالعبادات.. كأمثال ما يعرض من أمراض أو أعراض، لدى الرجال والنساء، وأثرها على صحة عباداتهم من صلاة وصوم وحج وعمرة أو التحكم فى الحمل وغير ذلك.

(٨١) سورة القصص: الآية ٨٨.

(٨٢) سورة البقرة: الآية ٤٤.

(٨٣) ***حديث صحيح*** أخرجه أحمد، والبخارى، ومسلم، والترمذى. انظر صحيح الجامع برقم (٢٦٢٨).

٨ - وأن يكون بصيراً بالرخص والمباحات والأعذار حتى يستمر المرضى على اتصال دائم بالعبادات ولا يتعودوا تركها.

٩ - إذا كانت الضرورات تبيح المحظورات، فإن على الطبيب المسلم أن يجتهد ما وسعه الجهد حتى لا يعالج الناس بما حرمه الله عليهم ما كان إلى ذلك سبيلاً. سواء أكان عن طريق الدواء أو الجراحة أو السلوك العام أو النصح والإرشاد.

١٠- عليه أن يصل نفسه بركب العلم فيواكب تقدمه، ويعد ما استطاع من قوة علمية فى دفعه للمرض، لأن صحة الناس تتأثر باجتهاده أو تقاعسه، وعلمه أو جهله، فمسئوليته عن غيره تجعل وقته ليس خالصاً له ينفقه كيف يشاء، وكما أن فى المال حقاً معلوماً للسائل والمحروم، ففى الوقت كذلك حق للمريض، وعلى الطبيب أن يقدم لمرضاه كل جديد نافع ناجع حتى يؤدى الأمانة التى فى عنقه على خير وجه.

١١- إن الطبيب المسلم يدرك أن الاستزادة من العلم بجانب قيمتها التطبيقية هى فى ذاتها عبادة وقربى إلى الله، وذلك امتثالاً بهدى القرآن فى قوله تعالى ﴿**وقل رب زدنى علماً**﴾(٨٤) وقوله تعالى: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾(٨٥) وقوله تعالى: ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾(٨٦).

فيجب عليه فى كل الأوقات أن يعمل على تحسين مستواه فى فن الطب وعلومه واستمرار التعليم الطبى وتحسينه يجب أن يشغل

(٨٤) سورة فاطر: الآية ١١٤.
(٨٥) سورة فاطر: الآية ٢٨.
(٨٦) سورة المجادلة: الآية ١١.

جزءاً من برنامج الطبيب اليومى، إذ أن ذلك يعطى الطبيب الإحساس الصادق بأنه يفعل ما فى وسعه من أجل المريض، كما أن ذلك يعد بمثابة الاجتهاد فى العبادة والتقرب إلى الله.

١٢- حذار ثم حذار للطبيب المسلم أن يستغل منصبه وماله من امتيازات من أجل منافع شخصية أو هوىً عارض لأن ذلك يجلب عليه حقد الناس، كما أن ذلك يجلب عليه دعاء الرسول - ﷺ - «**لا يحتكر إلا خاطىء**»(٨٧).

١٣- عليه أن يبتعد عن الشبهات، فلا يشارك فى أى نشاط لا يتفق مع شرف المهنة، وشرف المهنة هنا هو الذى تحدده قواعد الشريعة الغراء، والمبادىء العامة للأخلاق كما يدعو إليها الإسلام الحنيف. وفى الحديث الشريف: «**فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه**»(٨٨).

١٤- أن يكون الصالح العام نصب عينيه حتى ولو كان هذا يتعارض مع مصلحته الشخصية، فعلى سبيل المثال: يجب أن يسعى الأطباء لمنع الأمراض وإن نتج عن هذا قلة مرضاهم، وهذا فى الحقيقة نوع من أنواع فعل الخير، وإنكار الذات.
قال تعالى: ﴿**الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً، والله واسع عليم**﴾(٨٩).

---

(٨٧) ***حديث صحيح*** أخرجه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائى، وابن ماجه. انظر صحيح الجامع برقم (٧٦٣١)، وانظر صحيح سنن ابن ماجه (١٧٤٨).

(٨٨) ***حديث صحيح*** أخرجه أحمد، والبخارى، ومسلم، وابن ماجه، والدارمى، والبيهقى فى السنن الكبرى.

(٨٩) سورة البقرة: الآية ٢٦٨.

١٥- أن تكون رغبتك فى إبراء المرض أكثر من رغبتك فيما تلتمسه من أجر، ورغبتك فى علاج الفقراء أكثر من رغبتك فى علاج الأغنياء.

١٦- إغاثتك للملهوف ليلاً ونهاراً يدخل فى باب تفريج كربة المسلم، وبذلك تنال ثواب «**من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة**»(٩٠).

١٧- الإخلاص: إن مسئولية الطبيب مسئولية جسيمة لأنه يتعامل فى كل الأوقات مع أرواح الناس، وحياتهم والتى تعتبر بالطبع شيئاً مقدساً، ويجب على الطبيب أن يكون على مستوى المسئولية تجاه مرضاه، ويكون موضع الثقة التى وضعها فيه المرضى. قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون**﴾(٩١).

١٨- عليك أخى الطبيب أن تبدأ الكشف باسم الله فإن كل عمل لا يبدأ باسم الله فهو أبتر.

١٩- حسن الخلق: لابد للطبيب دائماً أن يكون كريماً، شفوقاً(٩٢)، لطيفاً، طيب القلب فى معاملته للمرضى وينبغى له دائماً أن يتصرف بحكمة ودقة تجاه مرضاه وعليه أن يكون شفوقاً مشاركاً لهم فى إحساسهم، معبراً عن مشاركته لهم إذا ما استدعت هذا بعض الظروف الخاصة إذ أن هذا من شأنه أن يخلق جواً من الثقة والراحة، ويؤدى هذا إلى التوصل لممارسة العلاج الصحيح.

---

(٩٠) «**حديث صحيح**» أخرجه أحمد، والبخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى والنسائى. انظر صحيح الجامع برقم (٦٧٠٧).

(٩١) سورة الأنفال: الآية ٢٧.

(٩٢) شفوقاً: أى رحيماً، من الشفقة وهى الرحمة.

٢٠- إن الإسلام يدعو إلى الكرم والشفقة والرحمة بين المسلمين فى كل الأوقات قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً**﴾[٩٣].

٢١- على الطبيب أن يتبع أسلوباً مناسباً أثناء فحص الجنس الآخر، فإن ذلك اختبار للقيم الخلقية ومدى صلابتها وتأصلها فيه، وهناك تعليمات أساسية فى القرآن الكريم ينبغى استحضارها دائماً وعدم نسيانها أو التغافل عنها منها:

قال تعالى: ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون**﴾[٩٤].

وإن كانت الآية عامة، والضرورات تبيح المحظورات، فإنه ينبغى أن نشير إلى أن الضرورة يجب أن تكون بقدرها، فإن زادت على قدرها، فتذكر أخى الطبيب يوم يقول ﴿**وقفوهم إنهم مسئولون**﴾ فيجب عليك أن تكون سليم القلب، عفيف النظر، صادق اللهجة، لا يخطر ببالك شيء من أمور النساء، التى تسقط المروءة وتذهب الحياء.

مسئولية الطبيب

* لا ينبغى أن يتصدى للطبابة إلا الطبيب المعتبر بحكم الأنظمة والأعراف والتقاليد الموجودة والتى يتعامل بها الناس، وعليه أن يحترم التخصص فلا يقحم نفسه فى تخصصات لا يتقنها حتى لا يسيىء إلى نفسه أولاً ثم لا يسيىء إلى المريض ثانياً. وذلك استهداء بقول الرسول -ﷺ-

---

(٩٣) سورة الأحزاب: الآية ٧٠.

(٩٤) سورة النور: الآية ٣٠.

«**من تطبب ولم يعلم منه طب فهو ضامن**»(٩٥) ولقوله -ﷺ-: «**لا حكيم إلا ذو تجربة**»(٩٦).

* وحيث أن الاختصاصات الطبية متعددة ومتنوعة فيجب أن تحال المشكلات الطبية المعقدة إلى ذوى التخصص فيها.. عملاً بالآية الكريمة ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾(٩٧).

* وإذا كان الطبيب مطالب بالاطلاع على النظريات الحديثة فى الطب كما بينا ذلك فى الفصل السابق فإنه مطالب بالاجتهاد فى علاج مريضه، فإذا اجتهد وأدى ما يرتقب من مثله، وخلا عمله من الإهمال الواضح عمداً أو سهواً، وأخذ بالأسباب التى ينبغى أن يأخذ بها أمثاله، فإن جاءت النتيجة المرجوة فلله الحمد والمنة على توفيقه، فإن كانت الأخرى، فلا إثم عليه ولا عقوبة وعلينا أن نتذكر مشيئة الله وقضاءه وقدره، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

* والطبيب وكيل المريض فى جسمه، ويعتبر قبول المريض له طبيباً معالجاً، إقراراً مبدئياً بقبول العلاج الذى يصفه.

* فإن كان العلاج يستدعى إجراءً جراحياً، وجب توثيق هذا القبول كتابياً، وقاية للطبيب مما قد يجره المستقبل من عواقب غير محمودة.

* وينبغى أن يكون هذا التوثيق من المريض بعد شرح الأمر للمريض بالأسلوب الذى يناسبه ويلائم مستواه.

---

(٩٥) «**حديث حسن**» رواه أبو داود، والنسائى، وابن ماجه، والحاكم. انظر صحيح الجامع برقم (٦١٥٣).

(٩٦) رواه البخارى موقوفاً على معاوية، وأخرجه أحمد والترمذى، وابن حبان عن أنس مرفوعاً.

(٩٧) سورة النحل: الآية ٤٣.

* فإذا رفض المريض العلاج، كان على الطبيب حينئذ أن ينصح له ثم يثبت هذا الرفض بالكتابة أو بالإشهاد حسبما يدعو الموقف أو يسمح المقام.

* والخلاصة:

فإن الشريعة الإسلامية الغراء تشترط لإنقاذ الطبيب من المسئولية عدة أمور أساسية هى:

١ – إذن الشارع بمزاولة المهنة.

٢ – رضاء المريض بالعلاج.

٣ – قصد الشفاء عند الطبيب.

٤ – عدم وقوع الخطأ الفاحش من الطبيب.

* والخطأ الفاحش هو الذى لا تقره الأصول الطبية ولا يقره أهل الفن والعلم والتخصص.

من مسئولية الطبيب أيضاً المحافظة على أسرار المرضى

* إن حفظ أسرار الناس وستر عوراتهم واجب كل مسلم، وهو على الأطباء أوجب.

لأن المرضى يكشفون لهم عن خباياهم ويودعونهم أسرارهم طواعية مستندين على ركاز متين من قدسية حفظ السر والذى اعتنقته المهنة منذ أقدم العصور.

* وقد حذر الإسلام فى أكثر من موضع من أن تكون فى الإنسان هذه الخصلة وعدها من علامات النفاق، فقد قال الرسول – ﷺ –: « **آية**

المنافق ثلاث ١ - إذا حدث كذب . ٢ - وإذا وعد أخلف . ٣ - وإذا ائتمن خان»(٩٨) .

* ومن هنا كان لزاماً على الطبيب أن يصون أية معلومة وصلت إليه خلال مزاولته مهنته عن طريق السمع أو البصر أو الفؤاد أو الاستنتاج وأن يحيطها بسياج كامل من الكتمان.

* إن روح الإسلام توجب أن تتضمن القوانين تأكيد حماية حق المريض فى أن يصون الطبيب سره الذى ائتمنه عليه، وذلك أنه مالم يأمن المريض الطبيب ، فلن يفضى له بدقائق قد تحدد سير العلاج ، فضلاً عن أن طوائف من المرضى ستضطر لعدم اللجوء إلى الأطباء.

* ومن هنا كان لزاماً عليك أخى الطبيب ، أن تتحلى بخلق الإسلام فى هذا المجال مصداقاً لقول الرسول -ﷺ-: «**من ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة**» .

إزاء البحث العلمى ومعطياته الحديثة

أخى الطبيب

* إن الإسلام العظيم الذى نؤمن به دين يحث على التعلم، فمنذ أول كلمة نزلت من القرآن وهى ﴿**اقرأ باسم ربك الذى خلق**﴾(٩٩) وهو يأمرنا بالتعلم ويقول فى موطن آخر ﴿**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم**

(٩٨) «**حديث صحيح**» أخرجه البخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى. انظر صحيح الجامع برقم (١٦).

(٩٩) سورة العلق : الآية ١ .

يحذرون﴾(١٠٠) وقد بلغ من تكريم العلماء درجة عالية ومكانة سامية فقال تعالى: ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾(١٠١) وقال: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾(١٠٢).

* إن قضية البحث العلمى فى الإسلام لا حجر عليها، بل هو مندوب سواء أكان هذا البحث مجرداً للكشف عن سنن الله فى خلقه، أم تطبيقياً يهدف إلى حل مشكلة بعينها.
قال تعالى: ﴿**وفى أنفسكم أفلا تبصرون**﴾(١٠٣).

* وإذا كان الإسلام قد أباح حرية البحث العلمى فإنه فى نفس الوقت نهى أن يشتمل ذلك على قهر الإنسان أو قتله أو الإضرار به أو تعريضه لضرر محتمل أو منع حاجاته العلاجية عنه، أو التدليس عليه أو استغلال حاجاته المادية.

* لا يجوز أن تشتمل حرية البحث العلمى على القسوة على الحيوان أو تعذيبه وإنما يوضع المنهاج المناسب للتداول الرفيق بالحيوان خلال التجارب العلمية.

* لا يجوز أن تشتمل خطوات البحث العلمى أو تطبيقاته على الكبائر التى حرمها الإسلام، كالزنا أو اختلاط الأنساب، أو التشويه أو العبث بمقومات الشخصية الإنسانية وحريتها وأهليتها للمسئولية.

* يجب أن تصدر الفتوى بالحل أو الحرمة فيما يتصل بالتقدم العلمى فى المجال الطبى من خلال أهل التخصص فى الطب من المسلمين، ومن

---

(١٠٠) سورة التوبة: الآية ١٢٢.

(١٠١) سورة المجادلة: الآية ١١.

(١٠٢) سورة فاطر: الآية ٢٨.

(١٠٣) سورة الذاريات: الآية ٢٢.

خلال أهل التخصص فى الفقه الإسلامى . وذلك لضمان صدورها عن بينة تامة وتوضيح دقيق للمسألة المطروحة .

* ويجب أن يكون المدار فى البحث فى المسائل التى لا يوجد نهى عن الخوض فيها، وإنما يكون البحث فى المسائل المباحة، وعملاً بالقاعدة الشرعية التى تقول حيثما كانت المصلحة فثم وجه الله، شريطة ألا تخالف المصلحة نصوص الشريعة أو روحها .

* على الطبيب المسلم أن يذيع ما يكتشفه من جديد فى العلاج تعميماً للفائدة ورحمة بعباد الله، ولا يحتكر طريقة العلاج بقصد الكسب منها، فالرسول - ﷺ - يقول : « **لا يحتكر إلا خاطىء** »(١٠٤) .

حُرمة الحياة الإنسانية

* قال تعالى : ﴿**ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر**﴾(١٠٥) ولقد كان قمة التكريم لبنى آدم حين جعله الله خليفة له فى الأرض قال تعالى : ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال إنى أعلم مالا تعلمون**﴾(١٠٦) .

* ولما كان الإنسان كريماً على الله إلى هذه الدرجة فقد جعل لحياته حرمة ما بعدها حرمة، قال تعالى : ﴿**من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل**

---

(١٠٤) «**حديث صحيح**» أخرجه مسلم، وابن ماجه. انظر صحيح سنن ابن ماجه برقم (١٧٤٨)، ورواه أحمد، وأبو داود، والنسائى. انظر صحيح الجامع برقم (٧٦٣١).

(١٠٥) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

(١٠٦) سورة البقرة: الآية ٣٠.

أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾(١٠٧).

* فلحياة الإنسان -إذن- حرمتها ولا يجوز إهدارها إلا فى المواطن التى حددتها الشريعة الإسلامية، وهذه المواطن خارج نطاق المهنة الطبية تماماً.

* ومن هنا يحرم على الطبيب أن يهدر الحياة ولو بدافع الشفقة، فهذا حرام لأنه خارج ما نص عليه الشرع من موجبات القتل، هذا بالإضافة إلى ما يستدل عليه من قول الرسول -ﷺ- «**كان فيمن قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكيناً فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات. فقال الله تعالى بادرنى عبدى نفسه.. حرمت عليه الجنة**»(١٠٨).

* وحياة الإنسان محترمة مصونة فى كافة أدوارها... وتنسدل هذه الحرمة على الحياة الجنينية فى رحم الأم... فلا يجوز للطبيب أن يهدر حياة الجنين إلا عند الضرورة القصوى التى تعتبرها الشريعة الإسلامية.

* والطبيب فى دفاعه عن الحياة مطالب بأن يعرف حده ويقف عنده، فإذا تأكد لديه أن المحال -حسب المعطيات العلمية- السلوك بالمريض إلى الحياة استحالة بينة، فإن مما لا طائل وراءه الإغراق فى المحافظة على الكيان البنائى للمريض بوسائل الإنعاش الصناعية، أو بحفظه مجمداً، أو غير ذلك من وسائل- لأن المطلوب: هو بقاء الحياة صحيحة، لا

---

(١٠٧) سورة المائدة: الآية ٣٢.

(١٠٨) «**حديث صحيح**» أخرجه البخارى، وأبو يعلى. انظر الأحاديث الصحيحة (١٤٨٥).

إطالة عملية الموت، لأن الموت حق، وفى نفس الوقت ليس للطبيب أن يقوم بخطوة إيجابية من أجل إماتة المريض.

* وعلى الطبيب أن يبذل جهده فى أن يجتاز المريض ما بقى له من العمر فى حسن رعاية، وفى غير ألم ولا عذاب، بما يتهيأ له من وسائل الرعاية والعلاج.

* وعلى الطبيب أن يصارح المريض بعلته إن طلب المريض ذلك. وعليه أن يختار طريقة التعبير المناسبة فيخاطب كلاً على قدر شخصيته ومستواه العلمى والعقلى، وعليه أن يتلطف لمريضه، ويعمل على إذكاء إيمان المريض وإنزال السكينة فى نفسه، وتوثيق رباطه بالله ثقة يهون بها ما سواه.

* وعلى الطبيب المسلم أن يراعى حرمة الميت كما يراعى حرمة الحى، فالرسول -ﷺ- يقول: «**كل المسلم على المسلم حرام، ماله وعرضه ودمه، حسب امرىءٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**»(١٠٩) ويقول أيضاً: «**كسر عظم الميت ككسر عظم الحى فى الإثم**»(١١٠).

---

(١٠٩) ***حديث صحيح*** أخرجه مسلم، وأبو داود، وابن ماجه. انظر صحيح الجامع برقم (٤٥٠٩).

(١١٠) ***حديث صحيح*** أخرجه أحمد، وأبوداود، وابن ماجه، والطحاوى، وابن حبان، والدارقطنى، والبيهقى، وأبونعيم، والخطيب. انظر صحيح الجامع (٤٤٧٨).

الطبيــب والمجتمــع

* الطبيب كغيره من الناس عضو حي فى المجتمع الإسلامى يتفاعل معه ويؤثر فيه ويهتم بأموره، وذلك إعمالاً بالحديث الشريف: « **المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما فى الرأس** »(١١١).

* وعلى الطبيب –إذن– أن يهتم بمكافحة العادات التى تؤدى إلى الضرر بالفرد والمجتمع كالخمر والتدخين، وعدم النظافة، وأن يطالب بالتشريعات اللازمة لذلك بجانب الدعوة على أوسع نطاق وتبصير المجتمع بأضرار ذلك ووسائل النجاة من ذلك مثل نظافة البيئة ومنع التلوث.

* ويلاحظ أن كثيراً من الأمراض الفتاكة التى استشرت فى بعض المجتمعات، كالأمراض الجنسية، وأسباب الوقاية منها تكمن فى شيوع الفضيلة ويقظة الوعى الدينى، فعلى الطبيب أن يقوم بدوره فى ذلك وأن يدعو إلى الأخلاق الفاضلة.

* وللطبيب على المجتمع حق الثقة الوطيدة والعيش الكريم والرزق الوافى والكرامة المصونة.
* وعلى الطبيب أن يكون أهلاً لهذه الحقوق وإلا كان عرضة للمساءلة التأديبية.

---

(١١١) **حديث حسن** أخرجه أحمد فى مسنده. انظر صحيح الجامع (٦٦٥٩).

علاقة الطبيب بالطبيب

* قال تعالى: ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾ من هذا المنطلق القرآنى وهذه الأخوة الإيمانية التى تجمع بين المؤمنين جميعاً، فإن الطبيب أخ لكل طبيب وزميل له فى رسالة نبيلة، وعمل مجيد، ومن هنا ينبغى أن يسود بينهم قول الحق سبحانه: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**﴾(١١٢) فيجب أن يعامل الطبيب زملاءه كما يحب أن يعاملوه، امتثالاً بقول الرسول -ﷺ-: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»(١١٣).

* الأطباء فى المجتمع الإسلامى متكافلون فيما بينهم على رعاية صحة الأمة، وهم يتكاملون بتنوع اختصاصاتهم الطبية فى شتى فروع الطب، فيعمل فريق فى الوقاية وآخرون فى العلاج، ويعمل البعض فى مرافق الدولة والبعض الآخر فى القطاع الخاص، ملتزمين جميعاً بآداب المهنة الطبية وتكاليفها.

* والأطباء فرقة من الأمة عليها أن تتخذ فيما بينها من النظم والوسائل والأساليب والأسباب والأعراف ما يمكن لأفرادها جماعة وعلى انفراد أن يقوموا برسالتهم فى الأمة على خير وجه.

* الطبيب أخو الطبيب يوقر حضرته ويحفظ غيبته، ويتجنب إساءته ويقدم له العون والنصح والمشورة كلما دعت الحاجة، ولا يأكل لحمه

---

(١١٢) سورة المائدة: الآية ٢.

(١١٣) «**حديث صحيح**» أخرجه أحمد، والبخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه. انظر صحيح الجامع (٧٥٨٣).

ولا يتتبع عورته، ولا يكشف سوأته كما قال الرسول - ﷺ -: «**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً**»(١١٤).

* ولا يجوز للطبيب أن ينتقد طبيباً آخر أمام المريض ولا يسخر منه وعليه أن يتذكر الوصية القرآنية: قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان**﴾(١١٥).

* على الطبيب إن حيره أمر، أو داخله شك، أن يستشير إخوانه. وإن دعت الحاجة أحال المريض إلى المختص.. فهذا من حق المريض.. ثم إنه حق الله تعالى لقوله: ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾(١١٦).

* والأطباء فيما بينهم يتكافلون كذلك على رعاية بعضهم البعض، إذا مرض أحدهم أو أى فرد من أفراد أسرته إذا اعترته شدة أو محنة أو عجز أو وفاة، وهم فى ذلك يضعون حديث الرسول - ﷺ -: «**من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**» نصب أعينهم، وحتى يكونوا بحق كما أخبر الرسول - ﷺ -: «**مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(١١٧).

---

(١١٤) سبق تخريجه.

(١١٥) سورة الحجرات: الآية ١١.

(١١٦) سورة النحل: الآية ٤٣.

(١١٧) ***حديث صحيح*** أخرجه أحمد ومسلم. انظر صحيح الجامع (٥٨٤٩).

* وليس الطبيب فى الزمن الحاضر عنصراً فرداً فى العلاج، ولكنه عضو فى فريق من المشتغلين بالتمريض أو المختبرات العلمية، أو العلاج الطبيعى أو الأشعة، أو البحث الاجتماعى.. إلخ فعليه أن يؤكد صلة التعاون ورباط الزمالة بهذه الطوائف جميعاً، وبذلك تثمر الجهود وتؤتى أفضل الثمرات.

آداب عيادة المريض(١١٨)

عيادة المريض واجبة:

* إذا كان الإسلام قد آخى بين المسلمين بقول الله تعالى: ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾ فإنه قد شرع لهم من الأعمال ما يجعل هذه الأخوة واقعاً فعلاً فكان من بين ما شرع عيادة المريض.

* وهذه العيادة أمر يخاطب به الجميع إلا أنه فى حق الطبيب يكون ألزم وأوكد وما ذلك إلا لاتصاله المباشر بالمريض، ولا يقلل من شأن هذه المطالبة أن يكون ذلك مقتضى المهنة، فإنه إذا نوى العيادة، بالإضافة إلى باعث الواجب الوظيفى، كان أداؤه أكمل وأجمل لأن ذلك من تمام حق المسلم على المسلم، لصدور ذلك عن قناعة والتزام دينى ينمو معه الوازع الداخلى بعد رقابة الله عز وجل.

* وقد جاء من التفصيلات لآداب عيادة المريض، ما يجعل منها علاجاً نفسياً للمريض فضلاً عن تحقيق المؤانسة والرعاية له فى حالة ضعفه وقعوده.

* وإذا ما زرت المريض فيجب السؤال عن حاله، ويكون الجواب فى جميع الأحوال «أصبحت بحمد الله بارئاً».

---

(١١٨) انظر تفصيل ذلك فى رسالتنا «وإذا مرضت فهو يشفين».

* الإحسان للمريض واحتماله والصبر على ما يشق من أمره: وذلك من باب الامتثال لقوله تعالى: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان**﴾(١١٩) وقول الرسول -ﷺ- «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء**»(١٢٠).

* الثناء على المريض بمحاسن أعماله، والتنفيس له فى أجله امتثالاً بقول الرسول -ﷺ-: «**إذا دخلتم على المريض فنفسوا له فى أجله، فإن ذلك لا يرد شيئاً ويطيب نفسه**».

* التروى فى سماع الشكوى من المريض، لأن ذلك من آكد عمل الطبيب حين جلوسه عند المريض، وأن يسأله عن حاله وعليه أن يعيد السؤال مرة أخرى عليه لأنه ربما تعذر عليه الإخبار بحاله لجهله به أو تأثره بقوة ألمه.

توجيهات فى اختيار العلاج

* المعرفة بأصول العلاج:

فعليك أخى الطبيب مراعاة اختيار العلاج كما تحدده القواعد الآتية:

أ - أهداف العلاج

١ - حفظ الصحة الموجودة.

٢ - رد الصحة المفقودة قدر الإمكان.

٣ - إزالة العلة أو تقليلها قدر الاستطاعة.

٤ - تحمل أدنى الضررين لإزالة أعظمهما.

٥ - تفويت أدنى المصلحتين لتحصيل أعظمهما.

(١١٩) سورة النحل: الآية ٩٠.

(١٢٠) «**حديث صحيح**» أخرجه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه. انظر صحيح الجامع (١٧٩٥).

ب- حدود العلاج:

١ - يجب عليك أخى الطبيب أن تدرك أن ليس الهدف من العلاج مجرد إزالة العلة دون النظر إلى عواقبه، ولكن يجب أن يكون ذلك على وجه يأمن به من حدوث علة أعظم وأصعب منها.

٢ - إذا كانت العلة لا يمكن علاجها امتنع الطبيب عن العلاج ولكن للطبيب الحاذق أن يعمل قدرته على التخيل والابتكار للاستعانة على المرض بكل معين، وله أن يجرب الدواء بما لا يضر أثره، ولكن ليس له أن يجربه بما يخاف عاقبته، وكل ذلك له أصول وقواعد وضوابط علمية معروفة تدرس بكلية الصيدلة.

د - طرق العلاج:

١ - العلاج بالأسهل فالأسهل، فلا ينتقل من الدواء البسيط المعتاد إلى الدواء المركب إلا إذا دعته إلى ذلك ضرورة.

٢ - الجمع بين علاج البدن وعلاج الروح، فقد يكون اعتلال البدن بسبب اعتلال النفس، وقد يكون تقوية النفس أعظم أثراً فى الشفاء من الأدوية المعتادة.

٣ - لكى يكون الطبيب حكيماً يجب عليه -فضلاً عن توافر المهارة لديه- أن يكون لديه القدرة على أن يكسب المريض القوة على تحمل الألم ومواجهة العلة والصبر على احتمال العجز، وهو الذى يقنع المريض بحكمة المرض، مع تحمله ومواساته.